ولذلك قال وعز وجل ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عليه الصلاة والسلام ليس عدوك الذي ان قتلته أعزك الله في قتله وان قتلك أدخلك الجنة ولكن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك وأولادك الذين من صلبك وجعل عليه الصلاة والسلام هؤلاء أعداء الانسان لما كانوا سببا لاهلاكه الاخروي لما يرتكبه من المعاصي من أجلهم فيؤدي ذلك الى هلاك الابد الذي هو شر من اهلاك المعادي المناصب اياه واعلم انه لكون بعض الناس مشاركا للشيطان في المعادات سمى الله تعالى الاعداء شياطين في قوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقد سمى كل ما يتأذى به شيطانا حتى قالوا ما ورود الفقير الا شيطان مجنون يؤذي بروح الانسان والفقير هو اسم بمعنى فعل ورودها شيطانا يتأذى به والله سبحانه اعلم

(الفصل السادس فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب والانفاق والجود والبخل)

(الباب الاول في حاجة الناس الى اجتماعهم للتظاهر)

اعلم انه لما صعب على كل أحد ان يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج اليه الا بمعاونة عدة رجال له فلقمة طعام لو عددنا تعب تحصيلها من الزراع والطحان والخباز وصناع آلاتها لصعب حصره فلذلك احتاج الناس ان يجتمعوا فرقة فرقة فيتظاهروا ولاجل ذلك قيل الانسان مدني بالطبع أي لا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم الى بعض في مصالح الدين والدنيا وعلى ذلك نبه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا وقال مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا تألم بعضه تداعى سائره وقيل الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا اختل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني تسخير الله تعالى همم الناس الى الصناعات المختلفة وعنايه كل واحد بما يتحراه)

لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية يؤثر الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه بمزاولتها فاذا جعل اليه صناعة أخرى فربما وجد متبلدا أو متبرما بها وقد سخرهم الله تعالى لذلك لئلا يختار وا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الاقوات والمعاونات ولولا ذلك لما اختار وا من الاشياء الا أحسنها ومن البلاد الا أطيبها ومن الصناعات الا أنظفها ومن الاعمال الا أرفعها ولتنازعوا على ذلك ولكن الله تعالى بحكمته جعل كلا منهم مجبرا في صورة مخير فالناس اما راض بصنعة لا يريد عنها حولا كالحائك الذي يرضى بصنعته ويعيب الحجام والحجام الذي يرضى بصنعته ويعيب الحائك وبهذا انتظم أمرهم كما قال تعالى فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون واما كاره لها يكابدها مع كراهيته اياها كأنه لا يجد لها بدلا وعلى هذا دل قوله عليه الصلاة والسلام كل ميسر لما خلق له بل صرح تعالى بقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقال وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وقال قل كل يعمل على شاكلته ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لن يزال الناس ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا فالتباين والتفرق والاختلاف في نحو هذا الموضع سبب الالتئام والاجتماع والاتفاق كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتفرقها التي لولاها لما حصل لها انتظام فسبحان الله ما أحسن ما صنع وأحكم ما أسس وأتقن ما دبر ولهذا قيل من حق من قيض له صناعة مباحة فرزق منها ان يراعيها على ما يجب وكما يجب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام من رزق من شئ فليلزمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث كون الفقر وخوفه سبب نظام أمر الناس)

حصول الفقر وخوفه المنتجان للحرص هما الباعثان على الجد واحتمال الكد ومنفعة الناس اما باختيار واما باضطرار ولهذا قيل رب ساع لقاعد وهو ان الناس لو كفى كل واحد أمره لأدى ذلك الى فساد العالم من حيث أنه لم يكن أحد يتولى لغيره مهنة يعجز عن القيام بمصالح نفسه كلها فيؤدي ذلك الى فقر

جميعهم وقد قيل قيام العالم بالفقراء أكبر من قيامه بالغنى لان الصناعات القائمة بالغنى ثلاث الملك والتجارة والكتابة وسائرها قائمة بالفقر فلولم يكن الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة ومن كان ينقل المير والملابس من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال وعلى منفعة الفقر نبه الله تعالى بقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ومن تدبر صنع الله تعالى في ذلك وتأمل ما أشار اليه في هذه الآيات التي ذكرها لم تعرض له الشبهة التي تعرض لمن يقول اذا كان الله جوادا واسعا فلم خص بعضهم بالغنى وجعل أكثرهم فقراء ومن حق الغنى الذي لا يغني غناه والجواد الذي لا يعرف بجوده منتهى ان لا يخص بالعطية بعضا دون بعض وذلك ان الجواد هو الذي يعطي كل أحد بقدر استئهاله على وجه يعود بمصلحته ومصلحة غيره وقد فعل ذلك بالعباد

(الباب الرابع مناسبة بدن الانسان لصناعته)

ان الله تعالى فرق هم الناس الصناعات المتفاوتة ويسر كلا لما خلق له وجعل آلاتهم الفكرية والبدنية مستعدة لها فجعل لمن قيضه لمراعات العلم والمحافظة على الدين قلوبا صافية وعقولا بالمعارف لائقة وأمزجة لطيفة وأبدانا ليّنة مستصلحة ومن قيضه لمراعات المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والبناء جعل لهم قلوبا قاسية وعقولا كثرة وأمزجة غليظة وأبدانا خشنة وكما انه محال ان يصلح السمع للرؤية والبصر للسمع كذلك محال أن يكون من خلق للمهنة يصلح للحكمة وقد جعل تعالى كل جنس من الفريقين نوعين رفيعا ووضيعا فالرفيع من تحرى الحذق في صناعته وأقبل على عمله وطلب مرضاة ربه بقدر وسعه وأدى الامانة بقدر جهده ولم يشتغل عن عبادة الله تعالى كما قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الصانع الحاذق ومدح الملائكة بوقوفهم حيثما وقفوا وبأحكامهم لما ولوا فقال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

(الباب الخامس وجوب التكسب)

التكسب في الدنيا وان كان معدودا من المباحات لكنه واجب من وجه وذلك

اذا لم يمكن الانسان الاستقلال بالعبادة الا بازالة ضرورات حياته فازالتها واجبة لان كل مالا يتم الواجب الا به فواجب كوجوبه واذا لم يكن الى ازالة ضرورياته سبيل الا بأخذ شىء من الناس فلابد اذا أن يعوضهم تعباله والا كان ظالما فمن توسع فى تناول عمل غيره فى مأكله وملبسه ومسكنه وغير ذلك فلابد أن يعمل لهم عملا بقدر ما يتناوله منهم والا كان ظالما لهم قصدوا افادته أو لم يقصدوا فان رضى بقليل من عملهم فلم يتناول من دنياهم الا قليلا رضى بقليل عمل ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من رضى من الله بقليل الرزق رضى الله منه بقليل العمل ومن أخذ منهم المنافع ولم يعطهم نفعا فانه لم يأتمر بالله فى قوله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولم يدخل فى عموم قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ولهذا ذم من يدعى التصوف فيتعطل عن المكاسب ولم يكن له علم يؤخذ عنه ولا عمل صالح فى الدين يقتدى به بل يجعل له همة عارية بطنه وفرجه فانه يأخذ منافع الناس ويضيق عليهم معايشهم ولا يرد اليهم نفعا فلا طائل فى مثلهم الا أن يكدروا الماء ويغلوا الاسعار ولهذا الشأن كان عمر رضى الله تعالى عنه اذا نظر الى ذى سيما سأل الحرفة فاذا قيل لا سقط من عينه واستحسن النبى صلى الله عليه وسلم من وفد عبد قيس لما سألهم ما المروءة فقالوا العفة والحرفة ومن الدلالة على قبح فعل من هذا صنيعه ان الله تعالى ذم من يأكل مال نفسه اسرافا وبدارا فما حال من أكل مال غيره على ذلك ثم لا ينيلهم عوضا ولا يرد اليهم بدلا فحق كل مضطر الى كسب أن يقتصر على ما يسد فقره وقته ولا يحمل هم غده على يومه قال الشاعر

فمن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

ومن اقتصر على ذلك فقد صار من المتوكلين الذين عناهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا

(الباب السادس مدح السعى وذم الكسل)

من تعطل وتبطل انسلخ من الانسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى وذلك انه خص الانسان بالقوى الثلاث ليسعى فى فضيلتها فان فضيلة القوة

الشهوية

الشهوية تطالبه بالمكاسب التي تمده وفضيلة القوة الغضبية تطالبه بالمجاهدة التي تحميه وفضيلة القوة الفكرية تطالبه بالعلم الذي يهديه فحقه أن يتأمل قوته ويسبر قدر ما يطيقه فيسعى بحسبه لما يفيده السعادة ويتحقق ان اضطرابه سبب وصوله من الذل الى العز ومن الفقر الى الغنى ومن الضعة الى الرفعة ومن الخمول الى النباهة وان من تعود الكسل ومال الى الراحة فقد الراحة فحب الهوينا يكسب التعب وقيل ان أردت ان لا تتعب فاتعب لئلا تتعب وقيل اياك والكسل والضجر فانك ان كسلت لم تؤد حقا وان ضجرت لم تصبر على حق كما قال الشاعر

ان التواني أنكح العجز بنته * وساق اليها حين أنكحها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي * فقصركما لا شك ان تلدا فقرا

وقال يزيد بن المهلب ما يسرني اني كفيت أمر الدنيا كله لئلا اتعود العجز وان الفزع يبطل الهيئة الانسانية فكل هيئة بل كل عضو ترك استعماله يبطل كالعين اذا غمضت واليد اذا عطلت ولذلك وضعت الرياضات في كل شيء ولما جعل الله تعالى للحيوان قوة التحرك لم يجعل له رزقا الا بسعي ما منه لئلا تتعطل فائدة ما جعل له من قوة التحرك ولما جعل للانسان الفكرة ترك من كل نعمة أنعمها تعالى عليه جانبا يحصله بفكرته لئلا تبطل فائدة الفكرة فيكون وجودها عبثا وتأمل حال مريم عليها السلام وقد جعل لها من الرطب الجني ما كفاها مؤنة الطلب وفيه أعظم معجزة فانه لم يخلها من أن أمرها بهزها فقال تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وكما ان البدن يتعود الرفاهية بالكسل كذلك النفس بترك التفكر والنظر فتتبلد وتتبله وترجع الى رتبة البهائم فحق الانسان ان لا يذهب عامة أوقاته الا في اصلاح أمر دينه ودنياه ووصلاته الى آخرته مراعيا لها قال الحجاج ان امرءا أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه ويستغفر من ذنبه أو يتفكر في أمر معاده لجدير ان تطول حسرته يوم القيامة واذا تأملت قول النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا ونظرت اليها نظرا عاليا علمت انه حث على التحرك الذي يدرك جنة المأوى ومصاحبة الملأ الاعلى بل مجاورة الله تعالى وذلك يحتاج الى خمسة أشياء معرفة المعبود المشار اليه بقوله ففروا الى الله جميعا ومعرفة الطريق المشار اليه بقوله قل هذه

سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة وتحصيل الزاد المتبلغ به المشار اليه بقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والمجاهدة في الوصول كما قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده فبهذه الاشياء يأمن الغرور الذي خوفه الله تعالى منه في قوله لا يغرنكم بالله الغرور وهذه من المعالي التي دونها هول العوالي ولا ضير لمن رامها ان يتدرع الصبر فقد أصاب من قال

فقل لمرجي معالي الامور * بغير اجتهاد رجوت المحالا

(الباب السابع تقاسيم الصناعات ومراتبها وفضيلة بعضها على بعض)

الصناعات ثلاثة أضرب اما أصول لا قوام للعالم بدونها وهي أربعة أشياء الحياكة والزراعة والبناية والسياسة وأما مرشحة لكل واحد من ذلك وخادمة كالحدادة للزراعة والحلاجة والغزالة للحياكة وأما متممة لكل واحد من ذلك ومزينة له كالطحانة والخبازة للزراعة والقصارة للحياكة ومثل ذلك بالاضافة الى العالم مثل أجزاء الشخص الى الشخص سواء بسواء فانها على ثلاثة أضرب اما أصول كالقلب والكبد والدماغ واما مرشحة لتلك الاصول وخادمة كالمعدة والعروق والشرايين وأما مكملة لها ومزينة كاليد والحاجب وأشرف أصول الصناعات السياسة وهي أربعة أضرب الاول سياسة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والثاني الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والثالث الحكماء وحكمهم على باطن الخواص والرابع الوعظة والفقهاء وحكمهم على باطن العامة وأشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب الناس به وبيان ذلك ان أشرف الصناعة يتبين من أوجه اما بحسب النسبة الى القوة المبرزة لها كالفضل في معرفة الحكمة على معرفة اللغات فان الاولى متعلقة بالقوة العقلية وهذه متعلقة بالقوة الحسية والعقل أشرف من الحس واما بحسب عموم النفع كفضل الزراعة على الصناعة واما بحسب الموضوع المعمول فيه كشرف الصياغة على الدباغة وقد علم ان الحكمة تدرك بالقوة الفكرية وهي أشرف قوة وانه يتوصل به الى جنة المأوى وذلك أبلغ نفع وموضوعه الذي تعمل فيه نفوس البشر وهو أفضل موضع يعمل فيه بل

موجود في هذا العلم وافادة العلم من وجه صناعة ومن وجه عبادة ومن وجه أجل خلافة الله فان الله مع استخلافه قد فتح على قلبه العلم الذي هو أخص صفاته تعالى فهو خازن لأجل خزائنه وقد أذن له في الانفاق على كل أحد ممن لا يفوته الانفاق عليه وكلما كان انفاقه أكثر على ما يجب وكما يجب كان جاهه عند مستخلفه أوفر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن في ان أصول الصناعات مأخوذة عن الوحي)

أصول الصناعات والمكاسب مأخوذة عن وحي وذلك ان نقص الانسان وحاجة بعضهم الى بعض ظاهر والناقص محتاج الى الكامل فلا يخلو اما ان يتصور أخذ واحد عن واحد بلا غاية وهو محال واما ان ينتهي الى واحد من البشر علمه الصناعات اما بسماع من الملأ الاعلى أو بالهام أو منام وهذا هو الحد فمعلوم لذي اللب ان قوى العقاقير وطبائع الحيوانات مما لا يمكن ادراك خواصها بافهام الناس وتجربتهم ورؤساء كل صناعة يقرون بذلك فأهل النجوم يقولون مبادئ النجوم من هرمس وهو قيل ادريس عليه السلام وكذلك أصحاب الطب يدعون مثل ذلك في معرفة الادوية ثم اختصاص كل واحد من الموجودات بفعل له على حدته أو بحسب العقل من توهم ما هو أصلح لذلك الفعل منه يحقق انه صادر عن حكمة الهية

(الباب التاسع في شأن الناض المتعامل به وحكمة الله تعالى فيه)

اعلم ان الناض أحد أسباب ما به قوام الحياة الدنيوية ومتى توهمنا مرتفعا تعسر على الناس توجيه معاشهم وقد تقدم ان الناس يحتاج بعضهم الى بعض ولا يمكنهم التعايش ما لم يتظاهروا ويتولى كل واحد منهم عملا يصير به معينا للآخر ومواسيا له ولما كان كل من واسى غيره من حقه ان يقابل بقدر مواساته قيض الله سبحانه لهم هذا الناض علامة منه جل ثناؤه ليدفعه الانسان الى من يوليه نفعا فيحمله الى من عنده مبتغاه فيأخذ منه بقدر عمله ثم اذا جاء ذلك الآخر بتلك العلامة أو مثلها الى الاول وطلب منه مبتغى هو عنده دفعه اليه لينتظم أمرهم ولهذا قيل الدرهم حاكم صامت وعدل ساكت وخاتم من الله نافذ وقيل

لهذا المعنى سمى فى لغة الفرس دينارا اى الدين اتى به والدين فارسية معربة
ولما كان ذلك ما كما عظم الله تعالى وعيد من احتبسه ومنع الناس عن التعامل به
فقال والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وذلك انه يصير باحتباسه اياهما
كمن حبس حاكمين للناس بهما تمشى أمور معائشهم ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم
لانه لا يؤدى الى منع الناس التصرف فى معاملتهم

(الباب العاشر فى مدح المال وذمه)

المال اذا اعتبر بكونه أحد أسباب قوام الحياة الدنيوية فهو عظيم الخطر كما تقدم
واذا اعتبر بسائر القنيات فهو صغير الخطر اذ القنيات ثلاثة نفسية ومدنية
وخارجة والخارجة أدونها وأدون الخارجات الناض لانه خادم غير
مخدوم وسائر القنيات خادم من وجه ومخدوم من وجه لان النفس يخدمها
البدن والبدن يخدمه المأكل والملبس وهما يخدمهما المال فالمال من حقه
أن يكون خادما لغيره من القنيات وأن لا يكون شئ من القنيات خادما له وان كان
كثير من الناس لجهلهم يجعلون جاههم وأبدانهم ونفوسهم خدما للمال وعبيدا
وهم الذين ذمهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعس عبد الدينار ولعظم موقع
المال عند من لا يتجاوز المحسوسات قال حكاية عن بعض أنبيائه فيما خاطب به
أمته استغفروا ربكم انه كان غفارا ولعظم منافعه فى الامور الدنيوية قال تعالى
ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ونبه على حقارة قدره بالاضافة الى أحوال الآخرة
فقال لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم وخوف من أعجب باقتنائه فقال أيحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى
ذرنى ومن خلقت وحيدا فحق الانسان أن يعد المقتنيات الدنيوية آلات
موضوعة فى خان سفر يصلح للانتفاع به ما دام نازلا فى ذلك الخان فيتناول منه
مقدار البلغة ويتسلى عنها عند الرحلة ويستحى من نفسه ان يكتئب ويغضب
ويحزن ويرتكب القبائح فى سببها واعلم ان الناض الذى هو العين والورق حجر
جعله الله سبحانه سببا للتعامل به كما تقدم آنفا وخادم كما ذكرناه فقبيح بالحر
المتوشح لنيل الفضائل والاقتداء بالبارئ جل ثناؤه والوصول الى الغنى الاكبر

ان

انه يتهافت على المال بأكثر مما يحتاج اليه ويجعل نفسه أقل رقيق له وأخسه كما قيل * فرق ذوى الاطماع عرق عخالد * ويكون متمسكا منه على حجر يعبده كما قال تعالى يعكفون على أصنام لهم ورأى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأل الله تعالى فقال اجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام لم يرد الا ان يحرسه وذريته عن الاعراض الدنيوية الصارفة عن الله فانه عليه الصلاة والسلام وأولاده يتنزه ان يشفق من اعتقاد فى حجر هو صانعه ويستحق عبادته وقال فى موضع آخر اشارة الى ما يعم هذا المعنى وغيره يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ وقال بعض الحكماء مثل الانسان وشغفه بهذه الاعراض الدنيوية كراكب فى سفينة الى أفضل بلد فانتهى الى جزيرة ذات اسود وأساود فأمروا بالخروج والتهيؤ للطهارة وان يكونوا على حذر فرأوا جواهر بها ففتنتهم وتباعدوا عن المركب ونسوا مقصودهم ومركبهم وبقوا الا هين حتى سارت السفينة فثارت عليهم الاسود والاساود فلم يغن عنهم حجرهم فصاروا كما قال تعالى عن هذه حاله ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه

(الباب الحادى عشر المال والادب فى اقتنائه والوجوه التى منها يحصل)

قد تقدم ان المال من الخيرات المتوسطة لانه كما قد يكون سببا للشر يكون سببا للخير لكن لما كان فى أكثر الاحوال يوجب كرامة أصحابه وتعظيم أربابه حتى صدق الشاعر فى قوله

الناس أعداء لكل مدقع * صفر اليدين واخوة للمكثر

وحتى قيل رأيت ذا المال مهيبا وقال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح واستصوب قول طلحة رضى الله تعالى عنه فى دعائه اللهم ارزقنا مجدا وما لا فلا يصلح المجد الا بالمال ولا يصلح المال الا بمراعاة المجد وقال بعض الحكماء اطلبوا العلم والمال تحوزوا الرياسة فالناس خاص وعام فالخاص يفضلك بما تحسن والعام بما تملك واكتسابه من الوجه الذى ينبغى صعب وتفريقه سهل كما قال الشاعر * له مصعد صعب ومنحدر سهل * ومن رام اكتسابه من وجه صعب عليه فالمكاسب الجليلة قليلة عند الحر العادل ومن رضى بكسبه من حيث ما اتفق فقد سهل عليه والفاضل ينقبض

عن اقتناء المال ويسترسل في انفاقه ولا يريده لذاته بل لاكتساب المحمدة به ولا يجمع المال عنده مدخرا كما قال الشاعر

لا يألف الدرهم المضروب صرته * لكن يمر عليها وهو منصرف

انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تنصرف

وغير الفاضل يسترسل في اقتنائه وينقبض في انفاقه ويطلبه لذاته لا لادخار الفضيلة به والمال يحصل من وجهين أحدهما بسبب منسوب الى الجد المحض والبخت الصرف من غير اكتساب من صاحبه كمن ورث مالا أو وجد كنزا أو قبض له من أولاده شيئا والثاني ان يكتسب الانسان كمن يشتغل بتجارة أو صناعة فيدخر منها مالا وهذا الضرب لا يستغنى فيه عن الجد ولهذا قيل

علي السعي فيما فيه نفعي * وليس علي ادراك النجاح

فحظ الجد أكثر من حظ الكد بخلاف الاخلاق والاعمال الاخروية التي حظ الكد فيها أكثر وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله من كان يريد العاجلة الآية واشترط في العاجلة مشيئته للعطى وارادته للمعطى له ولم يشترط السعي لها مع الايمان ولم يشترط ارادته ومشيئته وان كان ذلك لا يتعدى منهما فحق العاقل أن يعنى بما اذا طلبه ناله واذا ناله لم يخف زواله ويقال المال لا تعناه اذا قدر له أتاه طلبه أم لا وقال بعض الحكماء ان البخت بمنزلة امرأة صماء عمياء ورهاء في حجرها جواهر وهي قاعدة على حجر مدور ويتبعها ناس كثير يلتمسون ما عندها وهي لا تسمع قولا ولا ترى وجها وقد اعتزل عنها قوم قليلوا العدد وقعدوا بحجرة وفي كل ساعة تولي قبضة مما في حجرها واحدا من القوم كأنها المعنية بقول الشاعر

لا تحمدن حسنا في الجد ان مطرت * كفاه جودا ولا تذممه ان زرما

فليس يبخل اشفاقا على نشب * ولن يجود بفضل المال محترما

لكنها خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

وتارة تعرج على من أعطته فتسلبه سلبا وتدوسه بحجرها دوسا وأما الفضائل الاخروية فكما قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فان أعطيته كلك فأنت من اعطائه اياك بعضه على خطر وقال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى

*(الباب)

(الباب الثاني عشر اخفاق العاقل وانجاح الجاهل)

الحكمة تقتضى ان يكون العاقل الحكيم فى أكثر الاحوال مقلا وذلك انه لا يأخذ المال الا كما يجب من الوجه الذى يجب فى الوقت الذى يجب ثم اذا أخذه وتناوله لم يدخره عن مكرمة والجاهل عليه الجمع من حيث لا يبالى فيما يتناوله بارتكاب محظور واستباحة محجور واستنزال الناس عما فى أيديهم بالمكر ومساعدتهم على ارتكاب الشر طمعا فى نفعهم وكثيرا ما يرى منهم فى جملة الموصوفين بقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما فى الآخرة من خلاق شاكين بختهم فبعضهم يغضب على الفلك وبعضهم على القدر وبعضهم يتجاوز الاسباب فيعاتب الله تعالى حتى قال بعضهم فى ذلك شعرا

لقوله نحن قسمنا بينهم زال المرا

ولو تولى غيره * قسمة أرزاق الورى

جرت خطوب بيننا * اكثره تحت العرا

وذلك لحرصهم على ارتكاب القبائح وجهلهم عما يقيض الله سبحانه وتعالى من المصالح وقول الشاعر

هذا الذى ترك الالباب حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

فان الذى يصير بذلك زنديقا لو سمى بالجاهل الشرير أولى من ان يسمى العالم النحرير فقد قال حكيم سواه لمن أعطى العلم يجزع لفقد الذهب والفضة أعطى السلامة والدعة يجزع لفقد الالم والتعب

(الباب الثالث عشر تحقيق كون المال فى أيدى الناس)

ان الله تعالى أوجد اعراض الدنيا بلغة فاعتدها الناس عقدة وصير الدنيا مرتحلا وممرا فصيروها موطنا ومقرا الا قليلا أنزلوها حيث أنزلها الله تعالى وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله وقليل من عبادى الشكور تاجر وابها ربهم كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة الآية واعراض الدنيا من وجه عارية فى أيدى الناس مستردة كما قال

وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما ان ترد الودائع

ومن وجه منحة منحها الانسان لينتفع مدة بدرها او ينتفع به غيره ومن وجه
وديعة في يده رخص له في استعمالها والانتفاع بها مدة ان لا يسرف فيها لكن
الانسان بجهله ونسيانه لما عهد اليه بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى
ولم نجد له عزما اغتر بها فظن انها جعلت له هبة مؤبدة فركن اليها ولم يؤد أمانة
الله تعالى ثم لما طولب بردها تصورت له وضجر فلم يبرح عنها الا بنزع روحه
أو كسر يده و بعضهم وهم الاقلون حفظوا ما عهد اليهم فتناولوها تناول
العارية والمنحة والوديعة فأدوا فيها الامانة وعلموا انها مستردة فلما نزعت
منهم لم يغضبوا ولم يجزعوا وردوها شاكرين لما نالوه منها ومشكورين لاداء
الامانة فيها وقد ذكر بعض العارفين في ذلك مثلا فقال انما مثل أرباب الدنيا
فيما أعطوه من اعراضها كرجل دعا قوما الى داره وأخذ طبق ذهب عليه بخور
ورياحين فكان اذا دخل أحدهم ناوله اياه لا ليملكه بل ليشمه ويناوله من
بعده فمن كان جاهلا ظن انه يملكه فلما استرجع منه ضجر ومن كان عالما
تناوله فشمه ثم أعاده بانشراح صدر

(الباب الرابع عشر تفاوت أحوال المتناولين لاعراض الدنيا)

طلب الدنيا وتناولها على ثلاثة أضرب الاول من يتناولها على أي وجه اتفق
راكنا الى المال غير متفكر في المآل واياه قصد تعالى بقوله يحسب ان ماله أخلده
الثاني من يتناولها على وجه يجب عليه تناوله وذلك اذا اقتصر على ما لا يمكن
التبلغ بأقل منه من الوجه الذي يجب كما يجب ولوجوب تناول هذا القدر قيل
مباحات الصوفية فريضة وفريضتها مباحة يعني انه لا يقدم على تناول مباح
حتى يضطر اليه وروي من طلب رزقه على ما سن فهو في جهاد وقال صلى الله عليه
وسلم لابن مسعود ان المؤمن ليؤجر في كل شئ حتى اللقمة التي يضعها في في امرأته ولم
يعن ان كل أحد يؤجر في ذلك وانما أراد تخصيص المؤمنين الذين يراعون حكم
الله عز وجل في مكاسبهم وانفاقهم ويتحرون به عبادة الله تعالى والضرب
الثالث من يتوسع في تناولها ولا يراعي فيه لكن يكون فيه وكيلا لله فيقتصر
منه لنفسه على تناول بلغته ويجعل الباقي مصروفا الى ما دعى اليه فهذا أفضل
من تقدم ذكره فانه يصير بذلك من خلفاء الله تعالى في تناول الدنيا على أحد

هذين

هذين الوجهين فقد ارتسم لله عز وجل فى قوله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وبالاعتبار بعلمهم قال تعالى قل من حرم زينة الله وقال ولقد كتبنا فى الزبور الآية بعد ما لهم ثم قال ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين أى من تحرى عبادة الله تعالى فى تناول الدنيا فانه يبلغ بذلك المقصود فى قوله وان الى ربك المنتهى وقال ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم والفضل هو الاحسان فنبه بذلك على ان تناول المال اذا تحرى به الوجه الذى يجب كما يجب فهو فضل واحسان وقال فى مدح قوم يتناولون الدنيا كما يجب رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية

(الباب الخامس عشر فى بيان ما ورد من الآيات المتفاوتة الظاهر فى شأن الدنيا)

من تصور الوجوه الثلاثة التى تقدم ذكرها فى تناول الدنيا سقطت شبهته فيما ورد من الآيات والاخبار المتفاوتة فى الظاهر من ذم الدنيا واعراضها تارة ومدحها تارة وذلك ان ما جاء فى ذمها فاعتبار عن رضيها حظا لنفسه وجعلها قاضية مراده كما قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وما جاء فى مدحها فاعتبار بتناولها وانفاقها على ما يجب وعلى ذلك قال على رضى الله تعالى عنه الدنيا دار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها والناس فيها رجلان بائع نفس فموبقها ومبتاع نفس فمعتقها وعلى هذين الوجهين مدح تارة عمارة الارض فقال تعالى واستعمركم فيها وقال صلى الله عليه وسلم من غرس غرسا لم يأكل منه طائر ولا بهيمة الا كانت له صدقة وذم مرة عمارتها فقال تعالى أفلم يسيروا فى الارض الى قوله وعمروها أكثر مما عمروها وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها

(الباب السادس عشر فى مراعاة أمور الدنيا والآخرة)

الناس فى ذلك ثلاثة أصناف صنف منهم المنهوكون فى الدنيا بلا التفات منهم الى العقبى وهم المعنون بعبدة الطاغوت وشر الدواب ونحوها من الاسماء وصنف مخالفون لهم غاية المخالفة يراعون العقبى من غير التفات منهم الى مصالح الدنيا

وصنف متوسط قد أعطوا الدارين حقهما وهذا الصنف هم عند الحكماء الافضلون لان بهم قوام أسباب الدنيا والآخرة ومنهم عامة الانبياء لان الله عز وجل بعثهم لاقامة مصالح المعاد والمعاش ولان أمورهم مبنية على الاعتدال الذي هو أشرف الاحوال وأجدر أن تكون ثلاثتهم داخلين في قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فالمراعي للدنيا والآخرة على ما يحسن وكما يحسن من السابقين وجعل قوم السابقين هم النساك الذين رفضوا الدنيا محتجين فيه بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وخفي على هذا الجاهل ان أعظم عبادة الله تعالى ما كان عائدا بصلاح عباده وروى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله ولأنه كما يقبح ان يشتغل الانسان بأمر دنياه وبدنه فيضيع أحد جزءيه المركب عليه كذلك يقبح أن يضيع الجزء الآخر الذي هو بدنه لانه يصير مضادا لله تعالى في أبطال ما أوجده واتقنه فان قيل فقد قال بعض الحكماء الناس ثلاثة رجل شغله معاده عن معاشه فذلك من الفائزين ورجل شغله معاشه عن معاده فذلك من الهالكين ورجل مشتغل بهما وذلك من المخاطرين قال وقد علم ان الفائزين أحسن حالا من المخاطرين قيل ان المنازل الرفيعة لا تنفك من مخاطرة ولم يقصد هذا القائل بذلك الا تفضيل الفائز وانما خوف ان يترشح لخلافة الله تعالى من هو قاصر عنها ويقوي ذلك ما روي ان بعض أولاد الملوك ممن تقوى في العلم والحكمة اعتزل الملك وزهد في الدنيا فكتب اليه بعض الملوك قد اعتزلت ما نحن فيه فان عرفت ان ما أنت فيه أفضل فعرفنا لنذر ما نحن فيه ولا تحسبني أقبل منك قولا بلا حجة فكتب اليه انا عبيد ملك رحيم بعثنا الى حرب عدو وعرفنا ان القصد بذلك قهره أو السلامة منه فلما قربوا من الزحف صاروا ثلاثة أثلاث متحرزا طالب السلامة فاعتزل عنه فاكتسب السلامة وان لم يكتسب المحمدة ومتهورا قدم على غير بصيرة فجرحه العدو فهزمه فاكتسب بذلك سخط ربه وشجاعا أقدم على بصيرة فقاتل وأبلى واجتهد فهو الفائز التام الفوز وانا لما وجدتني ضعيفا رضيت بأدنى الهمتين وأدون المنزلتين فكن أيها الملك من أفضل الطوائف تكن أكرمهم والسلام على من اتبع الهدى

*(الباب

(الباب السابع عشر بيان أحوال من يجوز له الاستكثار من اعراض الدنيا ومن لا يجوز له ذلك)

الاعتبار في تناول الدنيا والاستكثار منها أو الاستقلال الزهد فيها أو الرغبة لا تناول الكثير والقليل بل تناولها من حيث ما يجب ووضعها كما يجب قال أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه لو ان رجلا أخذ جميع ما في الارض وأراد به وجه الله تعالى يعد زاهدا ولو انه ترك جميع ما في الارض ولم يرد بتركه وجه الله تعالى لم يعد زاهدا ولا كان لله تعالى في ذلك عابدا فليكن أخذك الذي تأخذه وتركك الذي تتركه لله عز وجل لا لغيره واعلم ان الحكيم اذا تناول اعراض الدنيا يجري مجرى حاذق تناول حية قد عرف ضرها ونفعها وأمن سمها فيتحرى بتناولها الوجه الذي ينتفع هو به وينفع غيره فهو مباح له تناولها وغير الحكيم اذا تناولها فهو كجاهل استحسن الحية واستلان مسها فظن انها مستصلحة لان يتقلد بها فجعلها سخابا في عنقه فلدغته وقتلته وما أحسن قول الشاعر

هي دنيا كحية تنفث السم ... وان كانت الجسة لانت

فكما لا يجوز للجاهل برقية الحية ان يتناولها كذلك لا يجوز للجاهل ان يقتدي بالحكيم في تناول اعراض الدنيا وكما انه محال ان يسلك الاعمى من غير قائد طريقا وعر يسلكه البصير اذ هو غير آمن ان يقع في وهدة كذلك محال ان يسلك الجاهل مستبد برأيه في تناول اعراض الدنيا طريقا يسلكه الحكيم العالم اذ هو غير آمن ان يقع في هاوية وأيضا فالدنيا غانية رعناء كما قال

شيم الغانيات فيها فلا أدري أفي الغانيات تحسى أم لا

فكما أن الغانية لا يجوز ان يدخل عليها ويخلو بها من الرجال الا من كان مجبوبا يؤمن عليها فكذلك الدنيا لا يجوز ان يتمكن منها الا المقطوع عنها بالعفة والزهد امثلا تغره وذلك كأمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه حيث قال يا حمراء ويا بيضاء اغري واصفري وغري غيري هذا جناي وجناءه فيه اذ كل جان يده الى فيه ومن تصور ذلك علم ان الله تعالى قد أباح الدنيا لاوليائه علما منه انهم لا يتناولونها الا على ما يجب وكما يجب واذا تناولوها وضعوها كما يجب حيث ما يجب وعلى هذا قال تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وقال

أن الارض يرثها عبادي الصالحون الى غير ذلك من الآيات التي تقدم ذكرها

(الباب الثامن عشر ماينال أرباب الدنيا من العقوبات الدنيوية)

لله تعالى عقوبات في معاقبة من تناول مالا يجوز له تناوله من الدنيا أو تناول من الوجه الذي يجوز لكنه لم يوف حقها احدى العقوبتين ظاهرة للبصر والبصيرة وذلك كعقوبات من غصب مالا مجاهرة أو سرقة وكمن منع حق الله تعالى من الزكاة فان عقوباتهم ظاهرة أمر السلطان باقامتها والثانية عقوبة خفية عن البصر مدركة ببصائر أولي الالباب كعقوبة من تناول مالا من حيث لا يجوز له تناوله أو منعه من حيث لا يجوز منعه الا على وجه فيه حد أمر السلطان باقامته فهذا عقوبته ما روي أي امرئ سكن قلبه حب الدنيا بلي بثلاث شغل لا يبلغ مداه وفقر لا يدرك غناه وأمل لا يدرك منتهاه وما قال عليه الصلاة والسلام من كانت الدنيا أكبر همه شتت الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم ينل الله به في أي واد من الدنيا هلك وعليه انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وقوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ليس يعني قلة المعيشة وانما يعني ما يقاسي من الهموم والغموم التي تكدر العيش

(الباب التاسع عشر ذكر الانفاق المحمود والمذموم)

الانفاق ضربان محمود ومذموم فالمحمود منه ما يكسب صاحبه العدالة وهو بذل ما أوجبت الشريعة بذله كالصدقة المفروضة والانفاق على العيال ومنه ما يكسب صاحبه أجرا وهو الانفاق على من ألزمت الشريعة الانفاق عليه ومنه ما يكسب الحرية وهو بذل ما ندبت الشريعة الى بذله فهذا يكسب من الناس شكرا ومن ولي النعمة أجرا فالمذموم ضربان افراط وهو التبذير والاسراف وتفريط وهو التقتير والامساك وكلاهما يراعى فيه الكمية والكيفية فالتبذير من جهة الكمية ان يعطي أكثر مما يحتمله حاله ومن حيث الكيفية فأن يضعه في غير موضعه والاعتبار فيه بالكيفية أكثر منه بالكمية فرب منفق درهما من ألوف هو في انفاقه مسرف وبذله مفسد ظالم

كمن أعطى فاجرة درهما أو اشترى خمرا ورب منفق ألوفا لا يملك غيرها هو فيه مقتصد وبذله محمود كما روي في شأن الصديق رضي الله تعالى عنه وقد قيل لحكيم متى يكون بذل القليل اسرافا والكثير اقتصادا قال اذا كان بذل القليل في باطل والكثير في حق والتقتير من جهة الكمية ان ينفق دون ما يحمله حاله ومن جهة الكيفية ان يمنع من حيث يجب وينفق حيث لا يجب والتبذير عند الناس أحمد لانه جود لكنه أكثر مما يجب والتقتير بخل والجود على كل حال أحمد من البخل لان رجوع المبذر الى السخاء سهل وارتقاء البخيل اليه صعب ولان المبذر قد ينفع غيره وان أضر بنفسه والمقتر لا ينفع نفسه ولا غيره وقد يقال ان التبذير في الحقيقة أقبح لما فيه من الاسراف ولأن بجانبه حقا مضيعا ولأنه يؤدي بصاحبه الى ان يظلم غيره ولهذا قيل المبذر أغدر من الظالم لانه جهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء الناس والجهل رأس كل شر والمتلاف ظالم من وجهين لأخذه من غير موضعه وصرفه كذلك ولكثرة مذام الاسراف ذمه الله تعالى أكثر من البخل فقال ولا تبذر تبذيرا وقال عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية أي ملوما من جهة سائلك فلم تجد ما تعطيه ومحسورا عن بلوغ مرادك قال المتنبي

فلا يبخلن في المجد مالك كله * فيبخل مجد كان بالمال عقده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وليس الاسراف متعلقا بالمال فقط بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به ألا ترى ان الله تعالى وصف قوم لوط بالاسراف لوضعهم البذر في غير الحرث فقال بل أنتم قوم مسرفون ووصف فرعون بقوله انه كان عاليا من المسرفين وقوله وانه لمن المسرفين

(الباب العشرون حقيقة السخاء والجود والبخل)

السخاء هيئة للانسان داعية الى بذل القنيات حصل معه البذل أو لم يحصل ويقابله الشح والجود بذل المقتنى ويقابله البخل هذا هو الاصل وان كان كل واحد منهما قد يستعمل في موضع الآخر ويدلك على هذا الفرق انهم جعلوا الفاعل من السخاء والبخل على بناء الافعال الغريزية فقالوا شحيح

وسخي وقالوا جواد وباخل وأما قولهم بخيل فصروف عن لفظ الفاعل للمبالغة كقولهم راحم ورحيم ولكون السخاء غريزة لم يوصف البارى تعالى به وقد عظم الله أمر الشح وخوف منه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فخص المطاع لينبه على ان وجود الشح فى النفس ليس مما يستحق به الذم اذ هو ليس من فعله وانما ذم بالانقياد له فقال ومن يوق شح نفسه وقال وأحضرت الانفس الشح وقال عليه الصلاة والسلام لا يجتمع شح وايمان فى قلب عبد

(الباب الحادى والعشرون فضيلة الجود وذم البخل)

الجود على السنة الورى محمود ولذلك قيل كفى بالجود حمدا ان اسمه مطلقا لا يقع الا فى حمد وكفى بالبخل ذما ان اسمه مطلقا لا يقع الا فى ذم وقيل لحكيم أى فعل البشر أشبه بفعل البارى تعالى فقال الجود وقال عليه الصلاة والسلام الجود شجرة من أشجار الجنة من أخذ بغصن من أغصانها أداه الى الجنة والبخل شجرة من أشجار النار من أخذ بغصن من أغصانها أداه الى النار ومن شرفه ان الله تعالى قرن ذكره بالايمان ووصف أهله بالفلاح والفلاح اسم جامع لسعادة الدارين فقال الذين يؤمنون بالغيب الى قوله هم المفلحون وحق للجود ان يقرن بالايمان فلا شئ أخص به وأشد مجانسة له منه فمن صفة المؤمن انشراح الصدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للايمان ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وهما من صفات الجواد والبخيل لأن الجواد يوصف بسعة الصدر للانفاق والبخيل يوصف بضيق الصدر للامساك وقال عليه الصلاة والسلام أى داء أدوى من البخل والبخل ثلاثة أضرب بخله بماله وبخله بمال غيره على غيره وبخله على نفسه بمال غيره وهو أقبح الثلاثة والباخل بما فى يده باخل بمال الله على نفسه فقد تقدم ان المال عارية فى يد الانسان مستردة ولا أحد أجهل ممن لا ينقذ نفسه من العذاب الاليم الدائم بمال غيره سيما اذا لم يخف من صاحبه تبعة ولا ملامة والكفاية الالهية متكفلة بالتعويض للمنفق فقد قال عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقال ان الله عز وجل ينزل المعونة بقدر المؤنة وروى من وسع وسع عليه

(الباب الثاني والعشرون أنواع الجود والجوديه)

الجود خمسة أضرب جود الله تعالى وهو البذل على كل أحد بقدر استحقاقه وجود الملوك وهو بسط المال على العفاة غنيهم وفقيرهم وجود السوقة وهم دون الملوك وهو بذل المال للسؤال وجود الصعاليك وهو البذل للندامى والشرب وجود عوام الناس وهو الاحسان الى الاقارب والمحمود من ذلك كله الجود الالهى وهو الجود على كل بقدر استحقاقه فالمعطى ما يحتاج اليه لمن لا يحتاج اليه مسرف مضيع والمعطى لغيره شيأ رهبة واقى نفسه والمعطية رغبة له لمثوبة أو لمحمدة دنيوية فتاجر وأما قول بشار

فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

فليس بغاية فى الوصف بالجود التام لان وصف بتجارة محمودة وأحسن منه قول ابن الرومى

وتاجر البر لا يزال له * ربحان فى كل متجر تجره
أجر وحمد وانما طلب ال * أجر ولكن كلاهما اعتوره

وقد أجاد بشار بقوله

ليس يعطيك للرجاء ولا للـ ـخوف لكن يلذ طعم العطاء

(الفصل السابع فى ذكر الافعال)

(الباب الاول فى أنواع الافعال)

الافعال ضربان الهى وانسانى فالالهى أربعة أضرب ابداع وتكوين وتربية واحالة وجميع ذلك يسمى خلقا من حيث كان وجود كل واحد بمقدار والخلق فى الاصل التقدير المستقيم فالاول الابداع وهو ايجاد الشئ دفعة لا عن موجود ولا ترتيب ولا من نقص الى كمال وليس ذلك الا للبارى تعالى وان كانت العرب تستعمل الابداع فيمن يحفر بئرا فى مكان لم يحفر فيه قبل والثانى التكوين وهو ايجاد الشئ عن عدم بترتيب ومن نقص الى كمال والمتكلمون قد يستعملون التكوين موضع الابداع ولما هفوا عن حقيقة التكوين استشنعوا قول من قال السماء ليست بمكونة وقدروا انه يقول ليست بمبدعة ولا مخلوقة وانما أراد